

رور

﴿ بقلم حضرة الكاتب الاديب حنا افندي صاوه ﴾

هناك على قمة اكمة رملية من سلسلة الاكام الممتدة بين الاسكندرية والابراهيمية وعلى مقربة من شاطئ البحر الابيض المتوسط كان شاب واقفاً يقلب انظاره في الفضاء الواسع وهو لا يبدي حراكا كتمثال وكان الوقت ضحى وليس في السماء من سحب سوى ما كان متجمعا منها حول سلطنة النهار التي خلعت على الارض والمياه والمباني والاشجار ثوبا باهرا دالا على قدرة مبدعها ذي الجلال وكان بعض المارين يرون الفتى وهو واقف كما اشرنا فترسم على شفاههم ابتسامات الامتهان

غير انه ما كان ليعبأ بهم اذ ان فكره كان يحوب اطراف الافق معجبا بهاء الغزاة المنبسطة حيال نورها على الماء

فينا هو كذلك وقد سحره جلال الطبيعة وصفاء السماء اذا بالافق قد اكفر واندفعت الزعازع طاردة امامها طبقات من السحب الكثيفة فاحتجبت الشمس وثارت اعمدة الرمل في الجو واضطرب البحر فارتفعت امواجه مزبدة ثم قصف رعد شديد عقبه برق خاطف مزق ظلمات الغيوم ثم تلاه مطر تدفق سيولا فزاد البحر اضطرابا

فابترقت اسرة الفتى سرورا ثم تحرك من مكانه ونظر حواليه ثم تتم قائلا يا لجمال مناظر الطبيعة ويا لغرائب تقلباتها

ثم انزل قبعته - وكانت واسعة - الى حاجبيه ووضع يديه في جيبي صدرته ثم انحدر عن الائمة ومشى متأنيا شأن من يفكر في امر

وجعل يجتاز الشارع المؤدي الى الاسكندرية حتى اذا اقترب من منزل بسيط المنظر تحديق به حذيقة ازيمحت احدى ستائر نوافذه ولاح وجه فتاة صبيح مورد الخدين ازرق العينين عريض الجبهة نقيها زينته شعر ذهبي وقد اخذت تشيع الشاب بنظر دال على حزن مستول على النفس والقلب حتى توارى

وحينئذ زفرت زفرة شديدة ثم ارخت الستارة واختفت وهي تقول ان شارل لم يعد يفكر في فان صديقتي ماري حبيته بنفسها فها هو ثم جلست في مقعد واعتمدت رأسها اللطيف بساعدها العاجي وقد سالت دمعتان كبيرتان من عينيها فسقتا ورد خديها

ووصل الشاب الى منزله وكانت ملابسه تقطر ماء فابدلها ثم دخل على والده وكان جالسا يصطي فتاة قايلا اين كنت يا شارل فاجاب لقد كنت على احدى المرتفعات اراقب الطبيعة واتمتع برأى وميض البرق قال اما زلت ميالا الى التخيلات قال نعم يا ابي فانها بعض الامل والامل جزء من السعادة قال اهذا ظنك يا شارل قال بل اعتقادي وقد ولدت مناظر اليوم بنفسى حب السعى في طلب المجد فهز الرجل كتفيه وقال وهل غاب عنك ان المجد كدخان زائل لا يعود على صاحبه منه سوى اطراء باطل وثناء تردده الافواه قال انني لا اريد ان افهم ذلك اذ ان المجد الذي اتطلبه انما هو الذي يعلي منزلي ويضمن مستقبلي فاحقق آمالي فابتسم الرجل وقال اما عدت عن حب ماري بعد فعلا وجه الفتى الاحمرار ثم قال بحمارة كلا

يا ابي واني لاجلها اريد ان اضحي عظيمًا قال ولكنها تفوقك في الغنى وهو
ا كبر عثرة في سبيلك فانبعث شعاع عزم من عيني الفتى وقال وساجتاز هذه
العثرة ظافراً قال وعلى ماذا عولت يا ولدي قال ان اتقن مهنتي فاحظى بالمال
والفخر قال اعرف انك مواع بالتصوير وميال الى وضع الصور الطبيعية
ولكنني لا ارى هنا مصوراً ماهراً يمكنك ان تقتبس منه جديداً قال كما ان
البلاد محرومة من مدارس هذا الفن فساجتاز البحر والبر حتى اتقن ماتصو
اليه نفسي قال اتسافر يا شارل قال نعم والى باريس يا والذي مهد الفنون
ومعين المعارف قال كما انها ام الحرية قال وساستعمل هذه الحرية متتبعاً فضائلها
فاسمو قال بورك فيك ايها الولد المحبوب ولكن دعني اذكر لك ان بعض
اصحابك يسخرون منك لميلك وقد وصموك بالجنون لداعي آمالك فارتسمت
سورة الحدة على وجه الشاب ولكنه لم يلبث حتى عاد اليه هدوءه وقال انني
لواثق بنفسي يا ابي فانا اشفق عليهم واغفر لهم فصاح الوالد جذلاً ثم قال
وقد طبع على جبهة ولده قبلة حارة هنيئاً لي بك ايها الابن الكريم ولم يعد
لي من سبيل كي احبط مسعاك فيمكنك ان تسافر بعد اسبوع فتناول الولد
يدي والده وشكره كثيراً

* *

نحن الآن في اليوم السابق ليوم السفر
وكانت الشمس تتوارى حيناً خلف السحب فيتوشح الفضاء بوشاح
القتام ثم تبرز حيناً آخر فتكسبه بهجة ونوراً
فارتدى شارل ازهى ملابسه ثم قصد ماري بغية وداعها فابلق انها في
الحديقة مع ابن عم لها يدعى فيليب فخار الفتى في امره واخذ يتساءل ايدخل

فيحظى منها بكلمة واحدة تكون بمثابة امل يعينه على تحمل الصعوبات او
انه ينتظر حتى يلاقىها على انفراد ولكنه كان عاشقاً مغرمًا لا قبل له بالصبر
ومحباً مدنفًا لا مقدرة له على مقاومة اميال القلب فدخل الى الحديقة بقدم
الجبان الخجل وكانت الريح تعبث بالرياحين فتتقطر وتتلاعب بالزهور فتنتشر
روائحها في الارحاء والوقت لاحت له ماري وكانت مرتدية ثوباً ابيض جميلاً
تزينة منطقة زرقاء رقد رأى انها متكئة على ذراع ابن عمها وهي تحادثه
وتضحك في آن واحد فداخله الحزن وحل به الارتباك فتوارى خلف شجرة
ضخمة كان امامها مقعد لم تصل اليه ماري حتى جلست فيه واجلست فيليب
الى جانبها وهي تقول افهمت ما ذكرت لك فاجاب نعم وانه ليدهشني عزمه
على السفر قالت انك لا تعلم اي شاب هو فانه ذو عزم لا يفيل وامل لا
يتقوض فضحك وقال العلك علته بشيء فعبست وقالت محتدمة يا خنة عقلك
يا فيليب اظننت انني فتحت له مجال حديث يحظى منه ببعض الامل قال
او لم تقولي لي بانه يحبك فقالت وقد ضحكت وهل استنتجت من ذلك انني
احببته او احبه قال كلا ولكنني عالم بان الحب غالباً ما يتبادل فاذا بي اجد
انك من شواذ هذه القاعدة وقد اتصل بي ان اكثر معارفه يهزأون به
ويقولون عنه انه مجنون فما قولك انت في ذلك قالت انني لا يسعني دحض
اقوالهم قال التسلمين بها اذن قالت وما يمنعني من ذلك فابتسم مرتضياً وقال
والحق يقال انني لم اعشر هذا الفتى ولذا فاني راغب في معرفته فوثب عندئذ
شارل امامها وقال وهذا هو يقدم اليك نفسه فصاحت ماري صيحة شديدة
وبهت فيليب جداً

وكان الفتى هادئاً غير ان عينيهِ كانتا تدلان على حزن اكيد فالتفت الى

ماري وقال انني شاكر لك ما ذكرته عني يا ماري ولا اعلم ما دعاك الى عدم ذكره لي غير انه مهما كان الامر فليس لي ان اوبخك بل علي ان الوم ذاتي لانه كان يتحتم علي ان اعمل حتى افق على افكارك وثق بانني احببتك ووضعت كل آمالي فيك وكثيراً ما كنت اتم بان ابوح لك بغمامي ولكن هو خجلي الناسي عن شديد حبي كان يقعدني عن ذلك فيا لعذاب فؤادي الذي يخفق وجداً لذكراك ويا لحزن نفسي التي لا تشعر بالسعادة الا وقت لقاءك ولكن عفواً فلا يحق لي ان اندبها لانك اذا لم تحبيني فلانك تعتقدين بانني غير كفوء لهذا الحب ولكن تأكدي ان حاضري زاهر ومستقبلي باهر وقد سمعتك تقولين انه لا يمنحك مانع عن الاقرار بجنوني فليس علي ان اتكدر من ذلك لانني واثق بنفسي وقد كنت اتيت وعزيمي مفاتيحتك في حبي ولكن ابت الاتفاقات الا ان تغنيني عن ذلك فسلام اذن على الحب ووداع للماضي ولكنني لا اقول سلام على آمالي لان آمالي قوية وفؤادي يدلني على تحقيقها وانني لمفارقك من اجل ذلك

ثم التفت الى ابن عمها وقال اما انت يا سيدي فها قد عرفتني واطن انه لم يعد لك بي من حاجة فالوداع اذن يا سيدي وساعمل حتى ابدد من ذا كرتك ذكر جنوني ثم عاد فشخص الى ماري واستطرد قائلاً والوداع يا ماري وانني لو اثق بانك لا تحزينين علي بعدي

ثم انصرف واضعاً يده على قلبه الذي جرح جرحاً خال انه لا يبرأ ابداً حتى اذا دنا من منزل فتاتنا التي سبق لنا ووصفناها وكانت مطلة في هذه المرة من نافذتها ونور الشمس يزيدها وجهها بهاء ويكسب شعرها الذهبي الجميل جمالا - رفع نظاره اليها فوجد انها تهتم له ابتساماً وقد دعت برأسها

فلي فهرعت الى لقاءه وهي تكاد تطير بشراً ثم تناولت يديه وضغطت عليهما بشدة وهي تقول انني ظننت انك نسيتمنا تماماً يا شارل حتى انك عزمت علي الرحيل بدون وداعنا فارتبك الفتى وقال عفواً يا روز فاذا كنت شعرت بتقصيري في التردد اليك فلان اعمالك اكثر مما يظن وتأهبات سفري تستغرق غاب اوقاتي قالت هكذا قال لي والدي وقد قلت له انك ستغادر المدينة بدون ان نراك فلم يصدقني واكد لي بحبيتك وها انت قد حققت قوله فيك قال اشكر لك فضلك يا روز واين هو الان فانا راغب في مصاحبته اذ انني في شوق اليه قالت انه في الحديقة فتعال معي لننضم اليه ثم نزلا الى هذه الحديقة وكان والد روز شيخاً وقوراً فلما لقي الفتى احسن لقاء ثم جلس جميعهم في مقعد ووجه الفتاة يفيض بهاء وعيناها تبعث بشعاع الحب ثم قال ابوها للفتى لقد اتصل بنا خبر عزمك على مبارحة هذه الديار فآتمني لك اسعد اتفاق واعظم نجاح وقد كانت روز لا تنقطع عن محادثتي عنك ذاكرة انقطاعك عنا في هذه المدة الاخيرة فلم انسب هذا الانقطاع الا لدواعي اهتمامك باعداد لوازم سفرك والان فاحمد الله على مرآك واشكر لك زيارتك قال وقد قصدت منها وداعاً لا بد منه ونصحاً اقر بفقرتي اليه وارشاداً يعينني على تحمل اعباء الغربة قال انك لست محتاجا الى شيء من كل ذلك يا ولدي فسافر اذن واتكل على الخالق فاخذت روز وردتين كانتا تزينان صدرها ثم قدمتهما الى الشاب وهي تقول نعم سافر يا شارل وانني هدية اليك هاتين الوردتين لتذكركني متى رأيتهما فتناول الفتى الوردتين وقد لاحت على شفتيه ابتسامة الرضى ثم امسك بالنامل الفتاة ليقبلها شكراً فقال له والدها بل قبل خديها يا شارل فانها تحبك فاحم وجه الفتاة الزاهر واطرقت خجلها فاسرع

شارل واخذ يديها بين يديه ثم طبع على كل خد قبلة طاهرة وهو يقول وهذا عربون شديد ميلى اليها وشكري لها على هديتها التي ساقطها كائن تذكاري ثم ودعها وانصرف وهو يقول كيف ذهلت عن روز

* *

نحن الان في السنة الثالثة من وجود شارل في باريس وقد اكب على العمل حتى اتقن التصوير وبرع فيه فنال شهرة بعيدة وانعم عليه بوسام الاستحقاق وكان قد عرض بعض صوره في معرض الفنون فنالت احسن اعجاب واقتبل المثلون على ابتياع صوره غير ضاينين بالمبالغ الطائلة فاصبح واسع الثروة

وحينئذ وصل اليه كتاب من والده متضمناً ما ياتي ان شهرتك سبقتك الي يا ولدي فقد رأيت اسمك مراراً في صحافة باريس التي تصل الي مع البريد فتعال اذن فاني اشتقت كثيراً اليك وقد تتوجت باكليل الفوز فكسوتني فخراً ونلت ما صبت اليه نفسك فجعلت روز تفاخر بهواك

وكان الفتى جالساً الى منضدة فاعرورت عيناه حنواً ثم فتح علبة في جانبه اخرج منها وردتين ذابلتين قبليهما بحرارة ثم تناول قلماً وكتب الى والده انا عائد قريباً فقبل لي وجنتي روز

* *

كانت ماري وابن عمها ووالدها مجتمعين في غرفة الاستقبال وهم يتحدثون وكان في يد الوالد لفافة يدخن بها فقال وقد ارسل دخانه من فيه

والحق يقال انني لمدهش من انقطاع شارل عنا فسألته ماري او لم تره بعد زيارته الاخيرة لنا اجاب كلا مع اني هنأته بنجاحه ورجوت منه ان يتردد اليها قالت انه لجدير باكثر من هذه الانعطافات قال اجل فاني اوده وقد اعجبت به وبعلقه بماله فقال فيليب كما انني شاكر له قيامه بوعده اذ انه لاشي من ذهني شكي في جنونه فقالت ماري انه فاز بجده وذاعت شهرته اترسعيه فاذا اتى طالباً نيل يدي فاني لا اتأخر عن تقديمها اليه ابداً فابتسم والدها وقال وساكون سعيداً متى رأيت انه اصبح شريك حياتك فتوردت وجنتاها سروراً وقالت افراض انت به يا والدي فقبض الرجل على يديها وقال بخنو تحببته يا ماري فاجابت وقد اطرقت حياء نعم يا ابني وقد شعرت بهذا الحب منذ رحلته الاخيرة فهم فيليب بان يتكلم ولكنه احجم اذ انه رأى خادماً داخلا ويده رسالة

فتناولها منه والد ماري وتلاها فانشرت سورة الحزن على وجهه ثم قدمها صامتاً الى ماري

فلم تلق نظرها عليها حتى صاحت صيحة طويلة صادرة من قلب قد كلم وكانت قد وقفت والبهت مبرقع وجهها فالقت بنفسها على مقعد خائرة وكانت الرسالة تتضمن نبأ ينحصر فواه في ان شارل زف الى روز

* *

اصبحت ماري اليقة الحزن محبة للوحدة فخل بها المرض فجعل والدها ينتقل بها من مدينة الى مدينة اخرى مؤملاً تعزيتها راجياً تبديد حزنها ولكن هيهات ان ينسى الفؤاد حباً انطبع آتية عليه وهيهات ان تنسى النفس املاً كان في حيز الاستطاعة ثم ضاع